آفات اللسان

الشيخ
د. هشام بن خليل الطوسي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغاً لمحاضرة

بعنوان

آفات اللسان

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثم أما بعد.

تعلمون أن نعم الله -عَزَّ وَجَل- علينا كثيرة، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[إبراهيم:٣٤]، فَنِعَمُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- علينا عظيمة تحتاج منَّا إلى شكر وتدبر وتفكر في هذه النعم، ومعرفة فضل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- علينا، وما مَنَّ به علينا من عظيم نعمَهِ، ووافر كرمِه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ومن هذه النعم العظيمة التي منَّ بها علينا: نعمة النطق، ونعمة اللسان.

فاللسان نعمة عظيمة على المسلم، لكن إن استخدمها فيما يرضي الله -عَزَّ وَجَل-، وفيما يجلب عليه مرضاة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وما يكون به رفعته في الدنيا، وفي الآخرة.

آفات اللسان

لكن نظرًا لما قد يحصل من المرء وللأسف في بعض أحيانه، وكلنا ذوو خطأ؛ وما من إنسانٍ إلا ويخطئ، ولكن كما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «خَيْرُ الخَطَّائِين التَّوَّابون»[1]، فلا بد أن نتذكر معًا ونعرف أن لهذا اللسان آفات، ولهذا اللسان زلات، ولا بد أن نبيِّن ونتعلَّم ونتذاكر ما يكون، وما تكون به هذه الآفات، وما يكون فيه ما يُسخط الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ويجنب الإنسان ما يرضي الله -عَزَّ وَجَل-.

وقد ذكر الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه [الجواب الكافي أو الداء والدواء] فقال: أن اللسان تمر به آفاتانِ عظيمتان .

■ومن أعظم هذه الآفات التي تمر على اللسان هي:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥١)

- خوضه في الباطل.
- وسكوته عن الحق.

وهاتان آفاتان عظيمتان سنتحدث عنهما

فكان لزامًا على المسلم أن يعرف آفات هذا اللسان، وما يكون فيه بعده عن الله -عَزَّ وَجَل-؛ لكي يبتعد ويجتنب هذه الأمور.

من صمت نجا

وتعلمون أن نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد قال في غيرما حديث، وبيَّن خطورة هذا اللسان، وعظيم أثره على الإنسان، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ كَانَ يُؤْمِن بالله واليَوْم الآخِر فَلِيَقُل خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت»[1].

أهل العلم كالنووي وغيرهم حين شرحوا هذا الحديث قالوا: هذا يدل على أن الإنسان إن كان متأكدًا مما يقوله، وأن فيه خيرًا فليتكلَّم، وإن علم أو جهل هل فيه خيرٌ أو ليس بخيرٍ ما يتكلَّم به، فالأولى والأسلم للمسلم السكوت «فمَنْ كَانَ يُؤْمِن بالله واليَوْم الآخِر فَلِيَقُل خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩) ومسلم (٤٨)

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد صح عنه في الترمذي وغيره قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»[1] فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يرشدنا في هذا الحديث بأن الصمت قد يكون نجاةً للإنسان، لكن كما بيَّنَّا أنه ليس في كل حال، بل في الحال التي يكون فيها السكوت أسلم.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما ثبت عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- قال: « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ »[2].

ذكر أهل العلم -رَحِمَهُم الله تَعَالَى-: أن الإنسان قد يكون من أبعد الناس عن الفواحش الظاهرة -نسأل لله العافية والسلامة-، فيكون بعيدًا عن السرقة، بعيدًا عن الزنا، بعيدًا عن شرب الخمر، بعيدًا عن الفواحش، لكن قليلٌ من الناس مَن يكون بعيدًا عما يكون من فلتات لسانه، فقد يضمن الإنسان، أو يبتعد عن الشر الأول وهو ما يكون من بين رجليه كما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ» وهو

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤)

اللسان «وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الجَنَّة» فقد يبتعد الإنسان عن الفواحش الظاهرة، لكنه للأسف قد يكون منغمسًا أو واقعًا فيما هو من فلتات اللسان، ومما يجلب عليه الشر، وسخط الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فينبغي علينا أن نراعي ونراقب ما نتحدث به، وما نتكلم به، وما يكون من فلتات لساننا حتى لا نأثم ولا نقع فيما يسخط الله، ويسخط ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حينما سُئِل عن أي المسلمين أفضل؟

فانظروا جواب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ماذا قال؟

قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه»[1] يعلمهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-ويربيهم حتى يتربى الواحد منهم على عدم إطلاق لسانه فيما يشتهيه، وفيما يفكر فيه، فـ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه».

(١) أخرجه البخاري (١٠)

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديث آخر حينما سُئل عن أي المسلمين أفضل؟

قال: «كُل مَخْموم القَلْب صَدُوق اللسَان» قالوا: **يا رسول الله صدوق اللسان عرفناه، فما مخموم القلب؟** قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»(١).

فأشار في هذا الحديث كذلك إلى أن اللسان لا بد أن يكون ماذا؟

لسانًا صدوقًا لا يتكلم بكل ما يخطر على باله.

حال سلفنا الصالح مع اللسان

سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- حينما سمعوا هذه الأحاديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كانوا من أكثر الناس اتباعًا لما يقوله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وكانوا من أصدقهم، بل كانوا هم أكثر الناس حرصًا على تطبيق سُنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وما يكون فيه نجاتهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)

فعقبة بن عامر -رَضِيَ الله عَنْهُ- الصحابي الجليل يسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: **"ما النجاة؟"** يعني الآن نحن سمعنا وعرفنا أن اللسان قد يهلك صاحبه، فما النجاة؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أمسِك عَلَيْكَ لِسَانَك» فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يبيِّن له أول ما يُبيِّن أول سُبُل النَّجاة «أَمسِك عَلَيْكَ لِسَانَك، وَلِيَسعَك بَيْتُك، وابكِي عَلَى خَطيئَتك»[1].

معاذ -رَضِيَ الله عَنْهُ- يسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كذلك حينما استغرب واستعجب حينما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وملَاك ذَلِكَ كله» بعدما ذكر الحديث الطويل حينما سأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فقال: **"دُلَّني على عملٍ يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار"**، فأخبره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَنْ تَعْبُد الله لا تُشرِك به شَيئًا» إلى آخر الحديث، ثم قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّه» قال: «أَمْسِك عَلَيْكَ لِسَانِك» فقال: **"يا رسول الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟"** فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك يَا مُعَاذ» دعوة ليس لها معنى عند العرب، لكن من باب الحث والترغيب على سماع ما يقول، فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك يَا مُعَاذ،

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٠٦

وهَل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِم أو عَلَى وُجُوهَهُم إلَّا حَصَائد أَلْسِنَتِهِم»[1].

فحصائد الألسن في هذه الدنيا نقول ونتكلم كالزرع الذي يزرعه الإنسان، فإذا جاء يوم القيامة حصد الإنسان ما كان يزرعه في هذه الدنيا؛ ولذلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- سماها حصائد الألسن، ما يحصده الإنسان لا بد أن يكون خيرًا، ازرع خيرًا تجني بإذن الله -عَزَّ وَجَل- خيرًا، وإلا فمن زرع شرًّا لا يجني إلا الشوكَ والمتاعب.

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أخبر الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- في غير ما حديث وبيَّن لهم خطورة هذا اللسان؛ لكي يرغبهم، ويحثهم على الابتعاد عن كل ما يكون فيه سخط الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)

ونحن لو تأملنا في حال أبي بكرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- حينما يسمع مثل هذه الأخبار، ومثل هذه الأحاديث ماذا يقول؟

يشير إلى لسانه ويقول: (**هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ**)[1].

والله يا إخوة هي ليست مجرد كلمة تخرج من هذا الصديق -رَضِيَ الله عَنْهُ-، فنحن إذا تأملنا حاله -رَضِيَ الله عَنْهُ- وشدة بكائه في صلاته، وشدة خوفه وتعظيمه لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ثم مع ذلك يقول: (**هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ**)

نقول: رضي الله عنك يا أبا بكر، فماذا نقول نحن؟

وماذا عسانا أن نجيب ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟

إن كان الصديق -رَضِيَ الله عَنْهُ- يقول: (**هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ**) وهو في عفته -رَضِيَ الله عَنْهُ-، وفي طهارته، وفي بعده عما يغضب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فماذا نقول نحن؟

والله نحن أولى وأحق بأن نقول مثل هذه الكلمة.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٣٦٢١)

عبد الله بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ- يقول: (**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ**)[١] ؛ إذا كان شيء يستحق السجن فليُسجن اللسان .

يقول في خبرٍ آخر -رَضِيَ الله عَنْهُ-، وفيما جاء عنه -رَضِيَ الله عَنْهُ- يقول: (**أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل**).

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد بيَّن وحثَّ ورغَّب في مثل هذه الأمور: «مِنْ حُسْن إسْلام المَرْء تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيه»[٢] لذلك هذا الصحابي الجليل يقول: (**أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل**).

فالمسلم عليه أن يتجنب الخوض في الباطل، ويبتعد عن هذه الأمور التي لا نفع فيها، ولا فائدة فيها، ليس له فائدة لا في الدنيا، ولا في الآخرة، إنما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (١٩٥٢٨)

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٨)

يجني على نفسه، وكما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[١].

يقول طاووس بن كيسان -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (**لساني سَبُع**- أي:كالسبع المفترس- **إن أرسلته أكلني**).

وتأملوا كذلك في حال هذا التابعي الجليل طاووس بن كيسان والذي عُرِف بالعبادة والزهد، والبعد عن الدنيا، والخوف من الله -عَزَّ وَجَل-، والذي قد كان ابن عباس وغيره من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- يثنون عليه خيرًا في عبادته وزهده، ومع ذلك يقول عن نفسه: (**لساني سبع إن أرسلته أكلني**).

فلذلك لا بد أن يُلجِم المسلم لسانه بلجام السُّنَّة، يلجمه بلجام اتباع كتاب الله -عَزَّ وَجَل-، وسُنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣)

يقول أبو الدرداء -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (**أنصف أذنيك من فمك، فإنما جُعِل لك أذنان، وجُعِل لك فمٌ واحد، فاجعل سمعك أكثر مما تتكلم**) اجعل سماعك أكثر مما تتكلم.

من حكمة الله -عَزَّ وَجَل- لم يجعل لنا لسانان، وإنما جعل لنا أذنين.

يقول أبو الدرداء -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (**لكي يكون سماعنا أكثر من كلامنا**) لكن قليلٌ من الناس مَن ينتبه لمثل هذا، أو قليلٌ من الناس من يمتثل مثل هذه الأوامر.

وهذه لفتاتٌ سريعة وومضات نرى فيها حال سلفنا، وحال قدواتنا -رَضِيَ الله عَنْهُم- من الصحابة والتابعين -رَضِيَ الله عَنْهُم أجمعين-.

وأشير إشارات إلى بعض الأمور التي تكون فيها آفات اللسان التي للأسف كثرت في زماننا هذا:

- من أعظم هذه الآفات التي نراها، ونسأل الله أن يعافينا وإياكم منها:

الآفة الأولى: هي رد ما جاء عن كتاب الله وسُنَّة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وللأسف الآن نرى كثيرًا ممن ينتسب مثلًا لبعض الجماعات الإسلامية أو غيرها نراه يرد ويعارض من حيث يدري أو لا يدري، لكنها جريمة عظمى، وإثمٌ عظيم أن ترد ما جاء عن كلام الله، وما جاء في كلام الله ومن سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- انتصارًا لحزب، أو انتصارًا لفئة، أو انتصارًا لطائفة، يسخّر جهده ووقته للرد ودفع ما جاء في سُنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- انتصارًا لحزبه، وهذه والعياذ بالله هذه من الأمور التي يُذم بها الإنسان، ولا قدّر الله قد تكون موبقة من موبقاته، وخادشة في إيمانه.

الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حينما قرأ هذه الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣] قال: (**أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك**).

كيف يعني الشرك؟

قال: (**لعله إذا رد بعض قوله؛ بعض قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يصيبه شيءٌ من الزيغ فيهلك**).

يصيبه ماذا؟

(**شيءٌ من الزيغ فيهلك**).

نحن الآن إذا نظرنا لوسائل التواصل الاجتماعي مثلًا وما فيه من غثٍّ وثمين نرى في الغالب، أو للأسف نقول كثيرًا من الناس من يتجرأ على كلام الله -عَزَّ وَجَل-، ويلوي أعناق النصوص النبوية، ويفسر الحديث النبوي بحسب ما يشتهي ويهوى، وهذا والعياذ بالله هذا من الضلال ومن الانحراف حينما يكيّف المسلم حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بحسب ما يهواه ويشتهي.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد أوتي البيان، وأوتي الفصاحة، وأوتي البلاغة، فهل كان عاجزًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يقول ما يقوله مثل هؤلاء؟ لا والله، ولكن الهوى يعمي ويصم أتباعه.

أسأل الله أن يعافينا وإياكم.

إذن هذه أول نقطة لا بد أن ننتبه لها وهي تعظيم كلام الله -عَزَّ وَجَل-، وتعظيم سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات:١]، فكتاب الله -عَزَّ وَجَل- هو القائد الذي يقودك، يقودنا ويأخذنا من نواصينا ويقودونا حيثما شاء، كتاب الله وسُنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لا أننا نجعل كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بحسب ما نشتهي، نقودها نحن بحسب ما نرى، وتمليه علينا أفكارنا والعياذ بالله، لا، كلام الله -عَزَّ وَجَل-، وكلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هو الذي ينبغي أن يكون النبراس والقدوة والمنبع الذي نستقي منه أحكامنا.

الآفة التي تليها وهي من آفات اللسان التي تقع وللأسف في أزماننا هذه هي:

الوقيعة في ولاة الأمر، والطعن فيهم

ولا شك ولا ريب أن إجماع أهل السنة قد انعقد، وذلك مبنيٌّ على كلام الله، وكلام رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، أن السمع والطاعة واجبة لولاة الأمر، وإن جاروا وإن ظلموا.

وأبو الدرداء -رَضِيَ الله عَنْهُ- من صحابة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يبيِّن ويقول: (**إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه**).

انظروا إلى فلتات اللسان تقود الإنسان إلى ماذا؟

إلى الوقوع في النفاق والعياذ بالله، (**إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه**) قد يزين لهم الشيطان ويلبِّس عليهم بأن هذا الوالي، أو هذا الحاكم يفعل كذا، ويفعل كذا، ويقوم بالعمل المنكر الفلاني، وأنتم لا تقومون.

نقول: هل نبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد بيَّن هذا الأمر أم لم يبينه؟

هو أحد أمرين، صحيح أم لا؟

هو أحد أمرين: إما أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بيَّن، أو لم يبيِّن، وحاشاه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن لم يكن قد بيَّن ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بيَّن البيان المبين، وبيَّن البيان الواضح الشافي الذي لا مرية فيه ولا جدال، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إنه سَيكون عَلَيْكُم أمرَاء تَعْرف مِنْهَا وَتُنْكِر» فقال: ما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «اسمَع وأَطِع وإِنْ ضُرِب ظَهْرُك وأُخِذَ مالُك»[1].

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أخبر بالسمع والطاعة لولي الأمر إن كان جائرًا ظالمًا، فما بالك إن كان عادلًا، إن كان طيب القلب كحالنا ولله الحمد، وهي نعمةٌ والله تستحق أن نشكر الله -عَزَّ وَجَل- عليها ليل نهار.

فكيف إذا كان الواقع مثلما نعيش فيه نحن؟ ولاةٌ ولله الحمد قد اتصفوا بالعدل، وطيبة القلب، فيجب علينا أن نشكر هذه النعمة، ونعرف لهم قدرهم، ونشكرهم، وأن نثني عليهم، وأن نعذرهم فيما يكون فيه من خطأٍ

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧)

ومن زللٍ ظاهر، قد يكون معذورًا وأنت لا تدري، وقد لا يكون معذورًا فحسابه ليس عليك، حسابه على الله -عَزَّ وَجَل-.

النقطة الثالثة وهي: تعاملك مع علماء هذه الأمة، علماء زمانك:

لا بد أن يحسن المسلم الظن بالعلماء، وأن يثني عليهم خيرًا، خاصةً ممن شابت لحاهم في الإسلام، خاصةً ممن بلغوا أعمارًا طويلة وهم في الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَل-، وهم معروفون ولله الحمد ولا نحتاج أن نذكر أسماءهم.

ولكن ينبغي على المسلم أن يحسن الظن؛ لأننا نسمع بين الفينة والأخرى حينما يقوم بعض أهل العلم بواجبهم من التحذير من بعض أهل البدع، أو بيان خطرهم أو زللهم، أو ضررهم على الناس، فينبري بعض الشباب ممن هم حديثو عهدٍ بتدينٍ، وتمسكٍ بالسنة ومعرفةٍ بها يقول: هداه الله العالم الفلاني، لماذا تكلم على هذه الجماعة، وهداه الله العالم الفلاني لماذا طعن مثلًا في الشخص الفلاني؟

أولًا: نقول: يا إخوة، ينبغي علينا أن نحسن الظن، هؤلاء علماء السُّنَّة، أئمة السنة ليسوا بحديثي عهدٍ بمثل هذه الأمور، فينبغي علينا أن نعرف

أنهم ناصحوا وتكلموا وبيَّنوا لأمثال هؤلاء من الجماعات والطوائف التي تنتسب للإسلام، حذروهم وبيَّنوا لهم، وناصحوهم وخاطبوهم، ولكن منهم من قبل وأكثرهم الذي بقي على حاله.

فوجب على العالِم أن يبيّن الضرر، ويبيّن ما هم عليه من خطأ، ومن زلل حتى يحذر الناس هذه الأمور، وكما هو معلوم أن مثل هذه الأمور ليست بغيبة، وليست مما حرمه الله، بل هو مما أوجب الله -عَزَّ وَجَل- على أهل العلم بيانه، وإلا كما قال الإمام أحمد حينما جاءه أحد الناس قال: يا أحمد، لماذا تغتاب الناس؟

انظروا الآن هذا الذي قد غلب عليه الزهد والورع والتقوى والخوف من الله يأتي يقول للإمام أحمد؛ يعني هو يظن نفسه أن عنده خوف من الله -عَزَّ وَجَل- أكثر مما عند الإمام أحمد، وهو إمام الزهد كما قال الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

قال الشافعي: أحمد **"إمامٌ في الزهد، إمامٌ في الفقه، إمامٌ في الورع..."**، عدد عشر مناقب في الإمام أحمد، فقال: رد الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

على هذا الرجل حينما قال له: يا أحمد، لماذا تغتابون العلماء؟ لماذا تغتابون الناس؟

قال الإمام أحمد: (**يا هذا، إن سَكَتُّ أنا، وسكت أنت، فمن يبيّن للناس دينهم؟**" أليس دين الله -عَزَّ وَجَل- أحبَّ إلينا من أنفسنا؟ إذن وجب علينا أن نبيَّن هذا الأمر للناس، وجب علينا أن نعلمهم .

علي بن المديني شيخ الإمام أحمد وصاحبه، علي بن المديني والده ضعيف في رواية الحديث مع ذلك ما منعه أن يبيّن حال والده؛ فكانوا يقولون الحق ولو على أنفسهم.

كان علي بن المديني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يقول إذا سُئِل عن والده لأنه من رواة الأحاديث، يقول: (**هذا دين، والدي ضعيف**)؛ لأن هذا دين الله -عَزَّ وَجَل-، أنت كيف تبيِّن للناس أن هذا من الدين وهو ليس من دين الله -عَزَّ وَجَل-، أو تسكت عن باطلٍ؛ تكلم به شخص وهو ليس من دين الله -عَزَّ وَجَل-.

لكن مع هذا يا إخوة لا بد أن نقف هنا وقفة في بيانك لمثل هذه الأمور إن كان فيما بينك وبين إخوانك فينبغي الترفق والتلطف، والمعاملة بالطيب،

لعل هذا الأخ الذي هو معك لم يبلغه مثلًا عن هذا الرجل، أو لم يعرف عن حاله، فينبغي التلطف، والترفق.

وأهل السنة قلة، فلا نُكْثِر من كثرة الجدال وكثرة الخصام، وكثرة الكلام في مثل هذه الأمور، والخوض في الفتن، ونحن على قلة، بل نتناصح فيما بيننا، ونبيِّن لبعضنا البعض؛ هذا خطأ، وهذا منكر، وهذا كذا بالرفق والحكمة والطيب والمعاملة الحسنة،﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]، وبيَّن الله -عَزَّ وَجَل- قبل ذلك أن هذا من رحمة الله -عَزَّ وَجَل- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩].

فلا شك أن التناصح بين المسلمين وبين الإخوة لا بد أن يكون موجودًا التناصح فيما بينهم، لكن ذلك لا يعني أبدًا السكوت عن منكرٍ مثلًا أو ضلالٍ يقع في مثل هذه المناهج الحزبية أو غيرها مما يكون من الغش للمسلمين، لا، لا والله.

كما قال علي ابن المديني: (**هذا دين، والدي ضعيف**) أي: بمعنى أن هذا الأمر دين، فلن أسكت عن بيان دين الله -عَزَّ وَجَل- ولو كان على حساب أن يكون الكلام على والده، وهذا من من عظيم مكانتهم التي وصلوا إليها.

أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حينما هجر يحيى بن معين، مع أن يحيى بن معين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- من العلماء الأجلاء لأنه لما هجره هجره في قضية القول بخلق القرآن، ما منع يحيى أن يقول الحق في أحمد، ولا طعن في الإمام أحمد، بل وهو مطرودٌ عند باب الإمام أحمد وهو يثني على الإمام أحمد.

رأيتم محبتهم للدين، وتعظيمهم للدين، طرده الإمام أحمد من بيته ولم يستقبله؛ لأنه قد قال بخلق القرآن، طبعًا تأوّلٌ وخوف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- خاف من السيف.

فمع ذلك يثني على الإمام أحمد ويمدحه، ويقول فيه قول الحق، وهو قد أخرجه للتو من من بيته؛ لأن المسألة عندهم مسألة دين، وليست انتصارًا للأهواء والأنفس.

اليوم في أيامنا إن رد عالمٌ من العلماء على أحدٍ ممن أخطأ وممن كذا تراه يشن حربًا على هذا العالم، لماذا رددت عليه، وتصبح المسألة انتصار للنفس، لا والعياذ بالله، المسلم لا تأخذه مثل هذه الأمور، ولا ينبغي عليه أن ينجر في سبل الشيطان، بل عليه أن يرضخ ويقبل بالحق ولو كان على حساب نفسه، هذا ما كنت أود أن نتذاكر فيه معكم.

أسأل الله -عَزَّ وَجَل- أن يوفقنا لاتباع مرضاته، واتباع وسلوك سُنَّة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

حقوق الطبع محفوظة

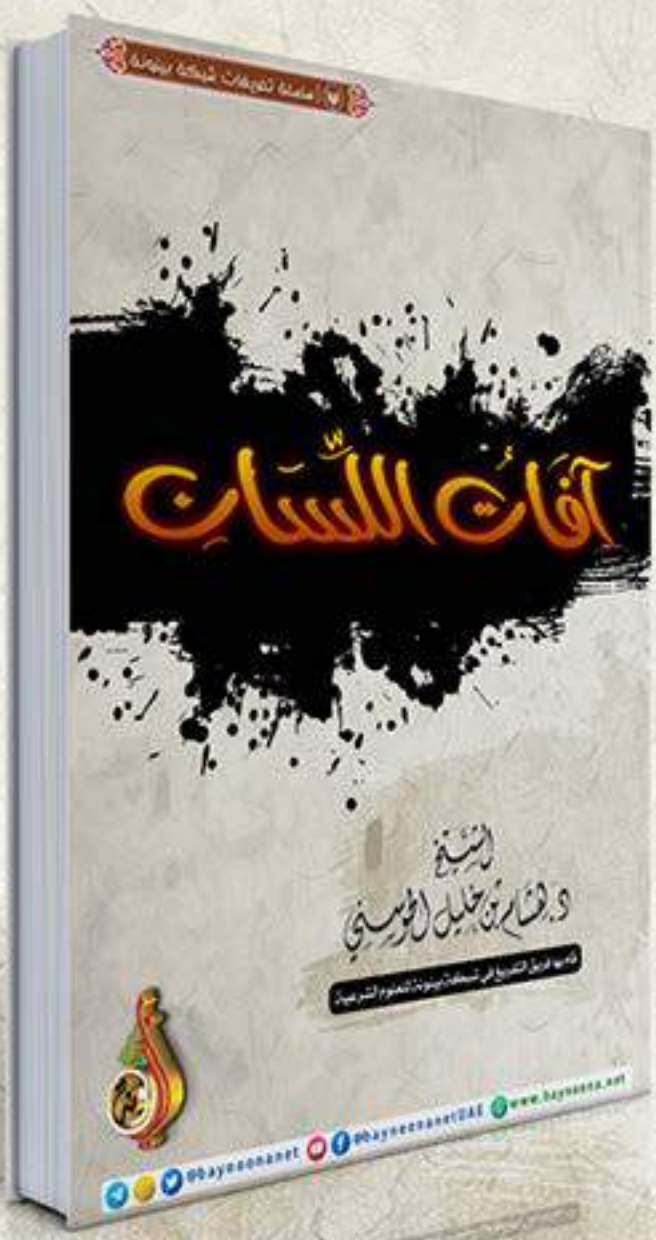

شبكة بينونة للعلوم الشرعية
نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة
الإمارات العربية المتحدة